التحقيقات الدلالية في جهود الباحثين العراقيين المحدثين

م.م. عمر رحمن جواد
وزارة التربية /المديرية العامة لتربية محافظة ديالى
أ.د. حسين براهيم مبارك
جامعة ديالى / كلية التربية للعلوم الإنسانية

المستخلص:
هدف البحث هو الكشف عن جهود الباحثين العراقيين المحدثين في تحقيقاتهم اللغوية , وعلى مستويات اللغة الاربعة الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية, وما يهمنا في هذا البحث هو جهودهم في التحقيق الدلالي , اذ الف الباحثون المحدثون كثير من الكتب في الجانب التصحيحي , فجاءت مؤلفاتهم زاخرة بالتصويبات والاستدراكات على من سبقهم من علماء اللغة , فكشفوا من خلالها عن مواضع اللحن والوهم والزلل التي رافقت العربية مع اعتمادهم في تحقيق الكلمات على مصادر اللغة المعتبرة بدءا من القران الكريم واحاديث الرسول واقوال الائمة المعصومين مرورا بشعر العرب ونثرهم ,فتبين لنا ان الباحث العراقي لم يكن مقلدا وانما كان مدققا ومناقشا ومستدركا على كثير من المسائل وسنبين ذلك في طيات البحث.

الكلمات المفتاحية: التحقيقات، الدلالة، العراقيين، المحدثين، التطور الدلالي.

Abstract:
The aim of the research is to reveal the efforts of modern Iraqi researchers in their linguistic investigations, and at the four levels of the language: phonetics, morphology, grammar and semantics. What concerns us in this research is their efforts in semantic investigation, as modern researchers have written many books on the corrective side, and their writings came full of corrections and additions to those who preceded them from linguists, through which they revealed the places of grammatical errors, illusions and errors that accompanied Arabic, while relying in investigating words on the reliable sources of the language, starting with the Holy Quran, the hadiths of the Messenger and the sayings of the infallible imams, passing through the poetry and prose of the Arabs. It became clear to us that the Iraqi researcher was not an imitator, but rather he was a meticulous, discussant and addendum to many issues, and we will show that in the folds of the research.

Keywords: investigations, semantics, Iraqis, modernists, semantic development.

المقدمة:
قدم لنا الباحثون المحدثون عشرات الكتب والبحوث في ميدان التصحيح ورد الخطا ومجابهة اللحن ,وكانت جهودهم لها الاثر في اصلاح وتصويب كثير من المسائل التي اصابها والحن والوهم فظرت لنا مؤلفات لباحثين عراقيين محدثين اسهمت في رفد المسار التصحيحي الذي بدأت من خلال مقولات للاب انستانس الكرملي وللعلامة مصطفى جواد وغيرهم والتي كانت تنشر في المجلات والصحف العربية مصححين لكثير من الالفاظ والاساليب التي وردت فيها وسنبين في هذا البحث التحقيقات والتصويبات للباحثين العراقيين على مستوى الجانب الدلالي .

تطور الدلالة:
عرفّه الدكتور نعمة العزاوي(١) بانه تطور دلالة الكلمة ،وتغير معناها وحدد عوامل حدوثه بنوعين ، الأول : عوامل مقصودة بسبب الحاجة الى خلع دلالات جديدة على بعض الألفاظ التي تطلبها حياة اجتماعية او اقتصادية او سياسية .

الثاني: عوامل لاشعورية تتم من دون تعمّد , او قصد منها: سوء الفهم أو تغير أصوات الكلمة أو الاختصار أو الشيوع أو الابتذال(٢).

ومن خواصه انه بطيء الحدوث واليسير على قوانين محدودة ويرتبط بالبيئة والناس ارتباطاً تاماً (٣).

يعد تنبيه الخليل بن أحمد الفراهيدي في معجمه العين إلى المستعمل والمهمل من الألفاظ, أولى اشارات التطور الدلالي ،اذ ركن إلى قانون الاستعمال في اللغة عند تدوينها في تقالبي الألفاظ المختلفة, وهذا ما يدل على أنّهم تنبهوا منذ وقت مبكر على هذه الظاهرة , فوجدوا أن هناك من الالفاظ ما يهجر ويهمل ومنها ما يستمر بتواصل الحياة ومن عصر الى آخر .

لقد ارتضى اللغويون القدامى أن تتطور دلالات كثير من الألفاظ من عصر إلى آخر فاعترفوا بهذا التطور ، لا نه حصل في عصور اللغة الاولى ,أما ما حدث منه في العصور المتأخرة فلم يقبلوا به كما أنّ أصحاب المعجمات لم يدونوا إزاء الألفاظ , الا المعاني الأصلية

وقد انقسم اللغويون المتأخرون والمعاصرة :هذه الظاهرة على فئتين, الأولى متشددة ترفض اي تطور ولا اي كلمة وتخطئ من يستعملها في غير ما وضعت له من معنى, وأخرى متساهلة تقبل التطور الدلالي وتجيز استعمال الكلمات التي تطورت معانيها وتغيرت دلالاتها خلال العصور(٤).

ويلحظ أن التطور الدلالي في العصر الحديث, لم يؤخذ به في النقد اللغوي كما يجب, اذ بقي النقاد اللغويون بين مانع له بحجة خروجه عن استعمالات العربية, وبين مجيز له دون اخضاعه لمزيد من البحث ضمن قوانين التطور الدلالي ، إذ إنّ المادة اللغوية الجديدة تستدعي إخضاعها لمعطيات الدرس اللغوي الحديث وبالتالي تفسير أي تغير حدث لها ضمن هذه المعطيات .

ويمكن أن يقسم هذا الجدب من المستعمل على قسمين

١– المعاني المستحدثة بالتطور الدلالي .

٢– المادة اللغوية المتولدة بالاشتقاق .

الفعل تتابع:

ذهب الحريري الى أن الفصل (تتابع)لا يستعمل الا في الحيز ويقابله في الشر الفصل (تتابع)،قال : ((ويقولون : تتابعت النوائب على فلان ، ووجه الكلام أن يقال : تتايعت بالياء المعجمة باثنين من تحت ، لأن التتابع يكون في الصلاح والخير، ولأتتايع يختص بالمنكر والشر كما جاء في الخبر) :ما يحملكم على ان تتايعوا في الكذب كما تتايع الفراش في النار)))(٥)

ورد هذه التخطئة الشهاب الخفاجي(٦) (شارح الدرة) مخالفا إياه في أمرين:

الأول: أنّ تخصيص التتابع مطلقاً غير صحيح محتجاً بقوله تعالى ((فَاتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا (المؤمنون٤٤))) ومستنداً إلى قول ابن بري :كّل عام لا مانع من استعماله في بعض أفراده بقرينة, كما في هذه الآية ،فالتتابع لفظ عام عند الخفاجي ودليله على هذا تفسير. أهل اللغة له بالتوالي مطلقاً , في حين أن (التتابع)لفظ خاص إذ فسّروه بالتهافت في الشر والمنكر .

أولاً: أنّ النوائب لا تختص بالشّر وإن كثر استعمالها فيه, وفي حديث مسلم: تعين على نوائب الحق, فالنائبة. الحادثة تكون في الخير والشّر محتجاً بقول لبيد:

نوائبٌ من خيرٍ وشرّ كلاهُما فلا الخير محدود ولا الشر لازبُ(٧)

فعلى هذا يكون الحريري قد أخطأ فيما ذهب اليه إذ استعمل المتكلم لفظ عام (تتابع)للدلالة على معنى عام (النوائب)

ويوافق الدكتور خليل بنيان(٨) الشهاب الخفاجي في رأي الحريري ويخالفه في :

أولاً: عمومية استعمال الفعل(تتابع) ومصدره (التتابع) في الخير والشر وقد ورد ذلك في كثير من الشواهد منها :

– ما جاء في مسند ابن حنبل عن ابن انس ((أنّ جنازة مرت بالنبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقيل لها خير وتتابعت الألسن لها بالخير ،فقال النبي(صلى الله عليه وآله وسلم): وجبت ثم مرت جنازة اخرى فقالوا: لها شرّا و تتابعت الألسن لها بالشرّ))(٩).

٢– قول حسان بن ثابت في رثاء من قتل بمؤتة من المسلمين:

فلا يبعدن الله قتلى تتابعوا بمؤتة منهمُ ذو الجناحين جعفر

وزيد وعبد الله حين تتابعوا جميعاً وأسباب المنية تقطر(١٠)

وغيرها من الشواهد(١١) التي استعمل فيها (تتابع)في الخير والشّر, واستناداً الى هذه الشواهد وغيرها يرى الدكتور بنيان أنّ التقارب الظاهر بين تتابع وتتابع في اللفظ والدلالة, مؤدٍّ إلى إحلال أحدهما موضع الأخر, وإن اختلف ما يسند اليه الفعل أو ما يضاف اليه الاسم منهما .

ثانياً :يمكن تفسير هذا الاستعمال على سبيل المجاز, مثله مثل جعل البشرى للعذاب في قوله تعالى:

((فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (آل عمران ٢١)))او لمراعاة أثر السياق في وضع اللفظ لغير ما عرف له , نحو قوله تعالى ((وَيَمْكُرونَ وَيَمْكُر اللهُ واللهُ خَيْرُ المَاكِرِينَ (الأنفال ٣٠))) فيرى أن كل ذلك مما يحسّن استعمال أحد الفعلين : تتابع وتتايع , موضع الآخر بحسب مائقتيه السياق .

ثالثاً: احتمال التصحيف لتماثل الفعلين في الحروف والصيغة.

ومن هذا كله يرى الدكتور بنيان(١٢) أن يستتب الأمر للفعل (تتابع) في الحالين دون (تتايع) إذ هو أكثر استعمالاً لمدلولي التتالي والتوالي فأغنى عنه لذلك .

الحق أنّ ما جاء به الحريري من تخصيص لفظة (تتايع) في الشر, قد ذكره لغويون سابقون له ففي(التهذيب) ينسب إلى أبي عبيد أنّه قال :((التتايع التهافت في الشر والمتابعة عليه ولم يسمع التبايع في الخير وإنما سمعناه في الشر))(١٣)

وجاء في (الصحابي) في باب الخصائص ((للعرب كلام بألفاظ تختص به معانٍ لا يجوز نقلها إلى غيرها ، يكون في الخير والشّر – والحُسن والقبح وغيره....ومن ذلك قول– النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) ((ما يحملكم على أن تتايعوا في الكذب كما يتتايع الفراش في النار)(١٤) قال ابو عبيد :هو التهافت ولم نسمعه الا في الشر))(١٥).

فالحريري محقّ فيما ذهب اليه في الدلالة الخاصة لهذا الفعل, إلا أنّ الشواهد والاستعمالات تؤكد على أن الفعل (تتابع)ليس ذا دلالة خاصة, وإنما هو لفظ عام قد يستعمل في الخير قد يستعمل في الشّر ، فقد استعمله اللغويون كثيراً في الشّر جاء في المحيط ((وإمغالُ الحرب : تتابع شرّها)).(١٦)

وفي الصحاح عن الأصمعي: ((اسنى بفلان الشُّر: أي تتابع به الشرُّ)).(١٧)

وفي العباب: ((وشّبه حذيفة بن اليمان (رضي الله عنهما) تتابع الفتن وقضاعة شأنها, بالرضف))(١٨) ,فكما يرد (تتابع) بالخير ورد بالشّر كذلك, فهو لفظ عام بخلاف (تتايع) فهو لفظ خارص يرد بمعنى المتابعة في الشّر فهو :(الوقوع في الشر....وليكون فالحديث:))(١٩) جاء في(التاج):((ولأتتايع : هو التهافت في الشيء والمتابعة عليه ...,وقيل : هو الإسراع في الشّر)). (٢٠)

ومنه قول أي ذؤيب :

ومُفْرِهةٍ عَنسٍ قَدَرْتُ لساقِها فَخَّرتْ كما تتَّايعُ الرِّيحُ بالقفلِ

ويروي(تتابع) (٢١).

ولدلالة(تتابع)العّامة على التوالي والاسراع فُسِّر به (تتايع)ذو الدلالة الخاصّة بالشّر إذْ لم يستعمل في

الخير . ومن هنا صّح للناطقين وميلاً نحو السهولة في التعبير وعدم التمهل في البحث عن هذه الفروق الدلالية ،استعمال (تتابع) في الخير والشّر كليهما وعلى هذا الأساس يمكن تفسير هذا الاستعمال ,اذ إنّ من مظاهر التطور الدلالي هجر بعض الدلالات الخاصّة واللجوء الى التعميم لعلاقة المشابهة في المعنى . أو بسبب أمر آخر إذ نجد في لفظة(تتابع) توالي حركات, أي أصوات العلّة, ما سبب ثقلا في نطقه ؛ ما جعل العامة والخاصة يميلون إلى هجره واستبداله بآخر أخف نطقا, وهو الفعل (تتابع) ، وعامل خفة اللفظ عند النطق به, من عوامل التطور الدلالي(٢٢).

وما تؤكده الشواهد هو ان (تتابع) يمكن يحذل محل (تتابع)ولأيمكن أن يحدث العكس كما في قول أبي ذؤيب السابق, وخير دليل قول أمرئ القيس :

درير كخذروفِ الوليدِ أمرّه تتابعُ كفيهِ بخبلٍ موصلِ(٢٣).

تواتر:

ذهب الحريري(٢٤) إلى أن من أوهام الخواص استعمالهم الفعل تواتر بمعنى تتابع, محتجاً بان العرب تقول : جاءت الخيل متتابعة إذا جاء بعضها في أثر بعض بلا فاصل ، وجاءت متواترة اذا تلاحقت وبينها فاصل .ومن قولهم :فعله تارات أي حالاً بعد حال وشيئاً من بعد شيء. وتابعه الجواليقي مستنداً الى أصل دلالة التواتر لا نه تفاعل من الوتر وهو الفرد ، يقال واترت الخبر أتبعت بعضه بعضا وبين الخبرين هنيه.(٢٥)

ردّ عليه شارح الدرة الشهاب الخفاجي بأنّ ما ذكره الحريري إنما هو أصل معناه ، يقول ((هذا أصل معناه ، ويشهد له الاشتقاق لأن التواتر أن يؤتى بالشيء وترا وترا أي منفردا فيقتضي الفصل, والتبع يكون متبوعا ففيه إشعار بالاتصال ، ولكن ورد في استعمال العرب وضع كِل منهما موضع الآخر كما حكاه الزمخشري في قضاء رمضان : إن شئت فوتر وإن شئت ففرّق))(٢٦) ,واحتج الشهاب بقول ابي عبيدة في (غريب الحديث):((الوثيرة :المداومة على الشيء وهو مأخوذ من التواتر والتتابع)) (٢٧) فقد سوّى ابو عبيدة بين التتابع والتواتر .

ويرى الشهاب الخفاجي أن التتابع هو التوالي الذي لم يتخلله فاصل يبطل حكم تواليه نسقا . فإن اليومين قد فصلت بينهما ليلة ،ولكنه فصل لا يبطل حكم تواليهما وتتابعهما ومنه قولهم :فعله ثارات أي حالاً بعد حال وشيئاً بعد شيء ، وأما جعل الحريري (تارات) من التواتر فهو غلط بيّن ، لأن التواتر فاؤه (واو) والتارة عينه (ياء) بديل جمعه على(تير)(٢٨)

ويرد رأي الحريري ويخالفه الدكتور خليل بنيان(٢٩) الذي يسير على خطا الشهاب في طريقة الرد وأسلوبه ، فيرى أن الحريري قد وقع في أخطاء واضحة فيما احتج به .

فيرى :

أولاً : أن الحريري قد وقع في خطأ فاحش, حين جعل (التارة) حجة التواتر من أن يدري أنه ليس ثمة أية صلة أو علاقة بين (التارة), و (التواتر)إذ هما من مادتين مختلفتين (وهذاما سبقه إليه الخفاجي) ، فتواتر (تفاعل) من(وتر)، والتارة (فْعلة) من (وتر)، وفي (تور) في كل المعجمات :(التارة .الحين والمّرة)،ويرى أنّه ربما أوقعه في هذا الوهم لفظة (تثرى) بقلب الواو تاء فظن أنّ التارة من ذلك .

ثانياً : ثمة وهم آخر وقع فيه الحريري باحتجاجه بـ (تارة)على (تواتر) إذ فاته أنّ ما يتولد من الأصل من أبنية الزيادة , ليس يلزم فيه أن يكون موافقا لدلالة الأصل موافقة تامة وذلك يجري في أمثلة كثيرة ،نحو :نفقت الدابة وأنفق مالاً ونافق نفاقاً ،ونحو هذا .

ويرى الدكتور خليل بنيان أن التواتر والتتابع سواء في المعنى محتجاً شواهد وجد فيه أدلة ظاهرة على ذلك من ذلك قول الراعي النميري:(٣٠).

وقال زياد إذ توارتْ حملوهم أرى الحي قّد ساروا فهل أنت سائر
إذا خبّ رقراقٌ من الآل بيننا رفعنا قرونا خطوها متواتر

فيرى الدكتور خليل بنيان أن تواتر الخطو لا يكون الا تتابعاً فلا فاصل بين خطوة وأخرى, ويعضّد ذلك ايضا قول حميد بن ثور:

قرينةُ سبعٍ إنْ تواترنَ مرةً ضربْنَ فَصُفتْ أرؤسٌ وجنوبُ (٣١)

فان اصطفاف الرؤوس الذي هو من أثر التواتر أنم يدل على التلازم في التتابع دونما فاصل ويرى أن مما يبطل ما ذهب اليه الحريري قول ابي سفيان :

فبكي ولأترعى مقالة عاذل ولاتسامي من عبرة ونحيب
أباك واخوان له قد تتابعوا وحق لهم من عبرة بنصيب(٣٢)

فانّ قتل كل واحد من أهلها لم يكن بلا فاصل

ويرى الدكتور خليل (٣٣) أنه مادامت المعجمات قد فسّرت التواتر بالتتابع ، فان الفصل وعدم الفصل يكون مع كلّ منهما وذلك مرهون بالسياق الدال عليه.

تكمن نقطة الخلاف هنا في استعمال اللفظ على أصل وضعه في اللغة ، إذ أراد الحريري اللغة العالية التي تقتضي دقة الاستعمال ووضع اللفظ الدقيق في معناه الدقيق, من دون الأخذ بسنة التطور الدلالي التي يتعرض لها بعض الأفعال الأمر الذي أغفله الفريقان كلاهما عبر عملية التخطئة والتصويب , فقد وجه الدكتور بنيان جُلّ اهتمامه إلى إثبات ترادف الفعلين (تواتر وتتابع) بلا أي فرق في معنى أحدهما عن الآخر, الأمر الذي أثبتته المعجمات عند تفسيرها

لهذين الفعلين , جاء في(العين):) والتتابع ما بين الأشياء :أذا فعل هذا على أثر هذا لا مهملة بينهما)) (٣),وفي المحيط)) وأعند في قيئه :تتابع ولم ينقطع)).(٣٤)

وفي اللسان ((وتابع بين الامور متابعة واتباعا :واتر ووالى، يقال : تابع فلان بين الصلاة وبين القراءة إذا والى بينهما، ففعل هذا على أثر هذا بلا مهملة بينهما))(٣٥) , وفي المصباح : ((تتابعت الأخبار: جاء بعضها إثر بعض بلا فصل))(٣٦) .

وفي التاج :((وليست المتواترة كالمتداركة والمتتابعة ....))(٣٧)

فالتتابع في أصل وضعه في المعجمات, إنّما هو تواتر بلا فصل , وقد حددت معناه تحديد دقيقاً عندما نصت على عبارة (بلا فصل أو بلا مهلة او بلا فجوة). واما(تواتر) فقد نصت المعجمات على أنه تتابع بلا فصل : جاء في اللسان: ((والتواتر :التتابع ،وقيل هو تتابع الأشياء وبينها فجوات وفترات))(٣٨), وفي التاج : ((المتواتر الشيء يكون هنيه ثم يجيء الآخر فاذا تتابعت فليست متواترة ، أنما هي متداركة ومتتابعة)).(٣٩)

فالتواتر تتابع بفصل والتتابع بلا فصل ، فلو كان الترادف بينهما تاماً لما حددوا الدلالة بالفصل أو بدونه, فكل من الفصلين يحمل دلالته الخاصة في أصل وضعه ،وأمّا قول أبي سفيان الذي ركن اليه الدكتور بنيان من أنه دليل دامغ على الترادف, فإنّ هذا الأمر إنّما كان بحسب تفسيره هو ،إذ ربّما كان قتل أهلها بلا فصل, وعلى هذا يكون قد استعمل (تتابع) على أصل وضعه .

كان الأجدر بالدكتور خليل بنيان تفسير استعمال العرب الفصلين بإحلال أحدهما محل الآخر, أو بالأحرى استعمال(تواتر) محل (تتابع)ركونا إلى حقيقة أن بعض الألفاظ يتغير استعمالها من مجال خاص إلى عام وبالعكس, وهذا ما حدث للفعل (تواتر) , فهو ذو دلالة عامة , حلّ محلّ الفعل ذي الدلالة الخاصة, فمن مظاهر التطور الدلالي هو انتقال مجال استعمال الكلمة ، ((أي أن معنى الكلمة يحدث فيه تضييق أو اتساع أو انتقال))(٤٠).

فالمتكلم قد يستبدل لفظ بآخر من معناه من دون الاهتمام بفرق المعنى الدقيق ذلك (إذا وثق من أنّ محدثه قادرعلى فهمه, اعفى نفسه من استعمال اللفظ الدقيق المحدد واكتفى بالتقريب العام ,وهذا ما حدث(تواتر).

الجلوس:

ذهب الحريري الى أن المختار أن يقال للقائم : أقعد قال: ((ويقولون للقائم : اجلس والاختيار على ماحكاه الخليل بن احمد أن يقال لمن كان قائما : اقعد ، ولمن كان نائما أو ساجداً : اجلس. (٤١)

وخالفه شارح الدرة(٤٢) فيما ذهب اليه بأنّ ما ذكره قد ورد في الأحاديث الشريفة وفي كلام الفصحاء ما يخالفه محتجاً بـ :

– روى عروة بن الزبير أن النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم)،خرج في مرضه إلى أن قال:((فجلس عليه السلام)). يقول شارح الدرة: وعروة أرسخ في لغة العرب من أن يخفى عليه مثله)).(٤٣)

– وفي حديث القبر الصحيح : ((أتاه ملكان فأقعداه ،قال الكرماني أي أجلساه)).(٤٤) ويستدل من هذا على أنهما مترادفان, وهذا ما يبطل قول من فرّق بينهما, ويرى الشهاب بان الفرق لو سلم فإنما هو بحسب الأصل ومقتضى الاستقامة, ولتقارب معنيهما وقع كل منهما موقع الآخر وشاع حتى صار حقيقة عرفية وعليه تمثيل النحاة بـ (قعدت جلوساً) في المفعول المطلق .

ويتابعه الدكتور خليل بنيان فيما ذهب اليه ويرد رأي الحريري بالحجة ذاتها التي استند اليها الشهاب الخفاجي بان شيوع استعمال هذين الفعلين مترادفين قديماً وحديثاً أنما هو لدلالتهما على هيأة واحدة مستنداً الى أن المعجمات قد فسرت آحادهما بالآخر من دون النظر الى الأصل في دلالة كل منهما .

احتج الدكتور خليل بنيان بعدد من الشواهد عدها نصوصا معتبرة تتظاهر التوثيق ما ذهب اليه وهي

– ما جاء في الموطأ: (عن الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) أن رسول الله (صلى الله عليه وآلة وسلم) كان يقوم في الجنائز ثم جلس بعد)(٤٥)

– وفيه أيضاً (أنّ رسول الله صلى الله عليه وأله وسلم)قال للقحة تحلب : من يحلب هذه ؟ فقام رجل فقال له:(رسول الله صلى الله عليه وآلة وسلّم)ما اسمك ؟ فقال له الرجل : مُرّة ، فقال له رسول الله: اجلس ،:ثم قال من يحلب هذه ؟ فقام رجل فقال له:(رسول الله صلى الله عليه وآلة وسلّم)ما اسمك؟ فقال حرب ، ، فقال له رسول الله: اجلس))(٤٦)، وجاء في الحديث الشريف ايضا أنه(صلّى الله عليه وآلة وسلم)، قال : ((اذا قام أحدكم من الركعتين . فلم يستقم قائما فليجلسْ ،فاذا استتم قائما فلا يجلس))(٤٧)

ويستدل الدكتور خليل بنيان من هذه الشواهد على ان الفعلين مترادفان وعلى نحو قاطع ،وأن توافقهما في الدلالة يبعد هذا القدر من التحكم الذي يحلو للمانعين ، واذا كان ثمة شيْ من الاختلاف بينهما ، فالأجدر أن يحمل على أن الناطقين بالألفاظ في الطاريْ المستعجل من شؤونهم, لا يجدون متسعا على هذه الفروق الدقيقة الخافية بين الألفاظ المتقاربة في الدلالة التي يعرفها علماء اللغة ويستهويهم التنبيه عليها .

ويرى أنه لولا صحة استعمال الجلوس من القيام وأصالته في اللغة لما صاغوا أسم مكان من (جلس), حين قالوا (مجلس القوم) فإن القوم إنما يأتون اليه قائمين ثم يجلسون، ولما قالوا: جالسته وهو جليسي ،والذي يبطل هذا النحو من التحكم أنهم لم يقولوا : مقعد القوم (٤٨).

والذي يبدو أنّ نقطة الخلاف إنّما تكمن في أمرين :

الأول : هو الاعتداد بأصل استعمال الفعل (قعد) ، إذ إنّ المعجمات الأولى قد أثبتت هذه الحقيقة اللغوية وهي أن يقرن القعود بالقيام

جاء في العين:((قعد يقعد خلاف قام ...وقعيدك جليسك))(٤٩).

وفي المحيط : ((لا يقال مع القيام الا القعود ....,قال الخليل :قعد قعودا : جرى مجرى جلس جلوسا, إلا أنه لا يقال مع القيام الا القعود))(٥٠). إلا أن أصحاب المعجمات فيما بعد فسروا القعود بالجلوس وجعلوهما مترادفين على الرغم من اقرارهم بالمعنى الدقيق للقعود :

جاء في الصحاح): قعد قعودا ومقعدا أي جلس))(٥١).

وفي اللسان ((القعود نقيض القيام ،قعد يقعد قعود .مقعدا أي جلس))(٥٢).

وفي التاج ((القعود ...الجلوس ...وكون الجلوس والقعود مترادفين اقتصر عليه الجوهري وغيره))(٥٣).

فترادفهما حقيقة لغوية ثابتة إلا أنّ الفرق موجود أيضا وإن كان طفيفا ولهذا استعملا استعمالا واحدا ، وهذا لا يمنع من استعمالهما أيضا على أصل وضعهما

قال الإمام علي (عليه السلام):

إنّا إذا قعدَ اللئُ مُ على بساط العزّ قمْنا

الثاني : التطور الدلالي وهذا ما غفله أو لم يقّربه الحريري الأمر الذي تنبه اليه الخفاجي هنا ((فهو يوضح وجهتي نظر إلى دلالة اللفظ ، تكون الأولى إلى أصل الدلالة في معناها المعجمي ، والذي تصدر منه الاشتقاقات حاملة ملمح الدلالة الأصلي إضافة إلى دلالة الصيغة والوزن ، وتكون الثانية إلى الاستعمال الذي يقرّب بعض الدلالات إلى بعض ، بسبب التبادل والتجاور، أو لأسباب أخرى من تعميم الدلالة وإهمال تتبع الأصل والاكتفاء بمجال الاستعمال التقريبي .وليس هذا كل ما تنبه اليه الخفاجي هنا ، إنما ذكر امرا له خطره ، وهو(الحقيقة العرفية)المتولدة من الاستعمال ، وهذا مما يشير إلى الأخذ بالمواضعة الاصطلاحية ،وفتح باب التطور ، أمام ما يتفق عليه المجتمع من استعمال)) (٥٤).

وقد ركن الدكتور خليل بنيان إلى التطور الدلالي في تفسيره استعمال العرب ل (قعد وجلس).وحلول أحدهما موضع الآخر.

وقد ثبت لفظه (الجلوس) استعملت مع النوم أو مع السجود ، و(القعود) مع القيام .إلا أنّ فرق الدلالة بينهما طفيف؛ ما حمل الناطقين على عدم الاعتداد به ،فانتقل(الجلوس)من هذه الدلالة الخاصة إلى دلالة عامة ،فالناس في حياتهم العادية يكتفون باقل قدر من دقة الدلالات ، وتحديدها ويقتنعون في فهم الدلالات بالقدر التقريبي الذي يحقق هدفهم من الكلام ،ولا يكادون يحرصون على الدلالة الدقيقة المحددة ، وهم لذلك قد ينتقلون بالدلالة الخاصة الى العامة إيثاراً للتيسير على أنفسهم ، والتماساً لأيسر السبل في خطابهم (٥٥).

الا أن اللغويين قد نبهوا على الفرق عند الاشتقاق فقد فرقوا بين دلالتي (مجلس) و(مقعد) بأن المقعد ما تعقبه لبث بخلاف المجلس (٥٦).

ولذا يقال : قواعد البيت دون جالسه للزومها ،وهو جليس الملك بخلاف قيده لا نه يمدح ومنه التحقق ، ولذا قيل : في مقعد صدق ، لأنه لا زوال له ، وقيل تفسحوا في المجالس ؛ لأنه يجلس منها يسيرا.

و(مقعد) في قوله تعالى (فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ (القمر ٥٥))) يدل على لبث لا يدل عليه المجلس؛ وذلك لأنّ بينهما فرقا لا يظهر الا للبارع وهو أنّ القعود جلوس فيه مكث حقيقية واقتضاء(٥٧).

حثَّ:

خطأ الحريري استعمال الحث بمعنى الحضّ فقال((ومن هذا القبيل أيضا أنهم لا يفرقون بين الحثّ والحضّ وقد فرّق بينهما الخليل ابن احمد فقال : الحث يكون في السّير والسّوق وفي كل شيء .والحض يكون فيما عدا السير والسوق ، نحو قوله تعالى ((ولا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ المِسْكِينِ (الماعون ٣)))(٥٨).

ويرى شارح الدرة(٥٩). بأن ما ذكره الخليل هو في أصل وضعه ، وأما في الاستعمال لا يفرقون بينهما ،

ولهذا سوّى بينهما صاحب القاموس . واستعملها النحاة كذلك في قولهم : حروف التحضيض ما دل على الحثّ على الفعل.

وردّ الدكتور خليل بنيان(٦٠) رأي الحريري بأن لا مكان لهذا النحو من التفريق بين (حثّ) و(حضّ) في الاستعمال ، لأن المعجمات كلها تفسّر كلاّ منهما بالآخر ، وإن كان أصل معنى الحث : الاستعجال ،والاستعجال يكون في السير وفي غيره من وجوه الخير, ومن هنا جاء التقارب والتوافق بينهما .

ويرى الدكتور أنّ في عبارة الخليل : ((والحثّ يكون في السيّر والسَّوق وفي كل شيء)) ما يكشف سبب دنو دلالة أحدهما من الآخر ، فكون الحث يأتي في كل شيء يُدخله في دلالة حضّ ، والحثُّ على الخير يلازمه الاستعجال في إنفاذه

احتجّ الدكتور خليل بنيان بنصوص جاء فيها الحث بمعنى الحضّ اثباتا منه يترادف الفعلين:

– ما أخرجه مسلم عن جرير بن عبد الله البجلي قال : ((جاء أناس من الأعراب إلى رسول الله(صلّى الله عليه وآلة وسلّم)....فرأى سوء حالهم , فحثّ الناس على الصدقة))(٦١)

– وفي سنن النسائي انه(صلّى الله عليه وآلة وسّلم))((قام متوكئ على بلال محمد الله وأثنى عليه ووعظ الناس وحثهم على طاعته))(٦٢)

– وبما جاء في القاموس والتاج ما يدل أن الفعلين مترادفان ، إذ جاء فيهما :(حثه يحثه حثا ًإذا اعجله ...وحثه عليه واستحثه استحثاث وأحثه إحثاثا ...كل ذلك بمعنى حضه عليه وندبه له وإليه))(٢)

٤– وفيهما ايضاً : ((حضه عليه يحضّه ...حثه وحرضه))(٦٣)

استند الشهاب الخفاجي إلى الاستعمال فجعله معيارا في الحكم بالخطأ أو الصواب وكذلك فعل الدكتور بنيان.

ولا يبدو أنّ فيما ذكره الدكتور بنيان ما يمكن أن يكون ردّاً على الحريري أو خلافا له, بل إنّما يمكن أنْ نعده توكيدا لما جاء به الحريري , وإثباتاً لصحة مقالته .

فقد أراد الحريري التنبيه على دقة دلالة الفعلين واختلافهما في أصل وضعهما, فقد نبّه إلى أن الفعل (حضّ) ذو دلالة خاصة بالخير فقط ، وأن الفعل (حثّ) ذو دلالة عامة في الخير والسيّر والسوق وكل شيء مستنداً إلى مقالة الخليل ، وأن دقة التعبير تستوجب دقة اللفظ, فنبّه إلى جنوح المستعملين إلى استعمال اللفظ (العام)بمعنى الخاص, من دون الأخذ بسنة التطور الدلالي لبعض الأفعال فعدّ استعمال اللفظ ذي الدلالة العامة في التعبير عن معنى خاص , خطأً وجب التنبيه عليه .

وأما الدكتور خليل بنيان فقد وجّه كل عنايته إلى إثبات ترادف الفعلين محتجاً بشواهد على استعمال (حث) بمعنى (حض)لا العكس ، والحقّ أنّ الحريري لم

يقل بعدم ترادفهما بل نبّه الى اصل وضع كل منهما .فقد حددت المعجمات معنى (حض) :

١ –جاء في التهذيب :((حضّ يحضُّ حضّاً وهو الحث على الخير)).(٦٤)

٢–وفي المحكم :((الحض ضرب من الحث)).(٦٥)

٣–وفي القاموس المحيط :((الحضّ على الخير : كالحثّ الا أنّ الحثّ أجمع)).(٦٦)

واما معنى (حثّ) فهو :

١–جاء في الجمهرة :((حث يحث حثا ، اذا استعجل)).(٦٧)

٢–وفي التهذيب : ((الحث الاعجال في الاتصال)).(٦٨)

٣–وفي اللسان :((الحث الاعجال في اتصال ،وقيل هو الاستعجال ...وحثته تحثّه وحثثّه أي حضه)).(٦٩)

وواضح أن لفظه (حض) لها دلالة خاصة إذ إنها في أصل استعمالها في الخير فقط ،واما(حث)فذو دلالة عامة ، وترادفهما أقر به صاحب التاج عندما قال :((وهذا ظاهر في كون الحثّ والحضّ مترادفين وزعم الحريري أن بينهما فرقاً ، وأن الحثّ في السير والحضّ في غيره ونقله عن الخليل)).(٧٠)

فتعميم الدلالة الخاصة لبعض الالفاظ إنّما حدث بفعل ظاهرة التطور الدلالي ((لأن الناس في حياتهم العادية يكتفون بأقل قدر ممكن من دقة الدلالات وتحديدها ، ويقنعون في فهمهم للدلالات بالقدر التقريبي الذي يحقق هدفهم من

الكلام والتخاطب))(٧١), إلا أننا يمكن أن نفسر هذا الاستعمال على أساس آخر وهو التبادل الصوتي بين التاء والداء اذ إنّهما كثير ما يتبادلان ,جاء في كتاب(الإبدال) : ((ثغثغ كلامه يثغثغه ثغثغة ، وضغضغ كلامه ضغضغةً اذا خلّط فيه)).(٧٢)

وهذه الظاهرة مازالت آثارها موجودة الى يومنا هذا في بعض الالفاظ العامية الجنوبية العراقية في نحو قولهم (ضخين) بدلاً من (ثخين), فهذان الحرفان. يمكن أن يحل احداهما موقع الآخر لتقارب موضع النطق لكل منهما فالضاد ((صوت أسناني لتوي))(٧٣) , والتاء ((صوت ما بين الأسنان)) (٧٤)

الخاتمة:

بين البحث اهم المسائل الدلالية التي حقق فيها الباحثين العراقيين المحدثين

فكانت جهودهم كبيرة تنبع من استقراء تام للآراء القدماء وكتبهم والاهتمام بالألفاظ التي اصابها اللحن والوهم , فعملوا على اعادة قراءة الموروث اللغوي وفق رؤية جديدة اتسمت بالدقة والضبط فحققوا وصححوا كثير من الالفاظ التي اصابها الوهم والزلل, فالتحقيق الدلالي يعد ركيزة من الركائز التي تقوم عليها اللغة وصيانتها مما يشوبها وما يلتصق فيها من الشوائب والادران

فكان الباحثون العراقيون المحدثون سباقين في كشف كثير من الاغلاط التي لم يلتفت لها الاقدمون..

الهوامش:

(١)العلوف نقولا, المنجد في اللغة العربية, دار الشروق, لبنان,١٩٨١,ص٢١٦.

(٢)علي ابو هدوس, فاعلية برنامج إرشادي يستند إلى النظرية المعرفية في تعديل التشوهات المعرفية لدى عينة من المتزوجات وأثرة على التوافق الزواجي لديهن, مجلة رسالة التربية وعلم النفس، السعودية, ٢٠١٣,ص١٨٧.

(٣)ابو علي, ٢٠١٠,ص١٩.

(٤)اسامة المبحوح, المساندة النفسية الاجتماعية وعلاقتها بالتوافق الاكاديمي لدى الطلاب المستفيدين من صندوق الطالب, الجامعة الاسلامية بغزة, فلسطين, ٢٠١٥, ص١٥.

(٥) نيفين عبدالهادي, فاعلية برنامج الدعم النفسي الاجتماعي المبني على المدارس الأساسية في تنمية بنائية اللعب والثقة بالنفس والتسامح، رسالة ماجيستر، الجامعة الإسلامية بغزة، فلسطين,٢٠١٣, ص٨.

(٦)منصور طلعت, الدعم النفسي الاجتماعي لأسر الأشخاص من ذوي الإعاقة، ط ٢، دار الشارقة، الإمارات, ٢٠٠٧, ص٨.

(٦) ابراهيم عبد الهادي المليجي، د. سامي مصطفى زايد ، الرعاية الطبية والتأهيلية من منظور الخدمة الاجتماعية، دار الكتب الجامعي الحديث ، مصر ،٢٠١٢،ص٨٦.

(٧)نجلاء عاطف خليل، في علم الاجتماع الطبي ثقافة الصحة والمرض، ط١,مكتبة الانجلو، مصر،٢٠٠٦، ص٣٠.

(٨) كريمة عبد السلام نايت، أهمية المرافقة المتعددة التخصصات لدى الطفل المصاب بالمرض المزمن ، مجلة البحوث في العلوم الانسانية والاجتماعية ،العدد٣٣,الجزائر، ٢٠١٨ ،ص ١٠.

(٩)فوزية بن باخة, مروة عدواس, التنشئة الاجتماعية وتأثيرها على التربية الصحية في الوسط التربوي, رسالة ماجستير, كلية العلوم الانسانية والاجتماعية, علم الاجتماع,الجزائر,٢٠٢١,ص٧٤.

(١٠)بلسم,٢٠١١,ص٤٨.

(١١) شارون كيه هولي ، تنشئة الطفل في القرن الواحد والعشرون ، ترجمة أحمد الشيهي،ط١, مؤسسة

هنداوي للتعليم والثقافة ، مصر ، ٢٠٠٦,ص ١٠٤ – ١١٠.
(١٢)جيهان أحمد مصطفى ،كتاب اليوم السلسلة الطبية ،دار اخبار اليوم للطباعة والتوزيع، العدد(٢٨٠),القاهرة ، ٢٠٠٨ ، ص ٦٠.
(١٣) زكريا الشربيني ، يسرية صادق ، تنشئة الطفل وسيل المعاملة الوالدية ومواجهة مشكلاته ، دار الفكر العربي للطبع والنشر، ٢٠٠٠، ص ١٢٧.
(١٤) سعاد بن سعيد، علاقات الجيرة في السكنات الحضرية دراسة ميدانية في المدينة الجديدة علي منجلي ، جامعة منتوري, قسنتينة ,كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية ,قسم علم الاجتماع ،رسالة ماجستير، الجزائر ، ٢٠٠٧ ، ص ٣٧ .
(١٥)هوادية عباد قدورين، المساندة الاجتماعية في مواجهة الاحداث الحياة الضاغطة كما تدركها العاملات المتزوجات ، جامعة وهران, كلية العلوم الاجتماعية, قسم علم النفس والعلوم التربوية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، ٢٠١٤ ،ص ٨٥.
(١٦)رولا عوده السوالقة، المساندة الاجتماعية للفتيات القاصرات المساء اليهن جنسياً مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية ، الاردن ،م٤٣ ،ملحق(٤)،٢٠١٦ ،ص١٨٦٦ .
(١٧) الاتحاد الدولي لجمعيات الصليب الاحمر, ٢٠٠٠, ص٣٠.٣١.

المصادر:

١– ينظر اللسانيات وآفاق الدرس اللغوي / د. احمد محمد قدور :٢٠٢
٢– علم الدلالة/ لوشن : ٣٥
٣– علم الدلالة /عمر : ١١
٤– المصدر نفسه
٥_ ينظر مظاهر التطور في اللغة العربية المعاصرة :٥٩ .
٦_ ينظر التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه: ١١١– ١١٤ .
٧_ ينظر علم الدلالة / لوشن : ٥٨ .
٨– ينظر فصول في اللغة والنقد / العزاوي : ٦٥
٩– درة الغواص : ١٢ .
١٠–ينظر شرح درة الغواص : ١٢٠ , وكشف الطرة : ١٦٦ .
١١– ديوان لبيد :٢٦٤ .
١٢– ينظر في التصحيح اللغوي والكلام المباح : ٥٠
١٣– مسند ابن حنبل :١٧٩/٢
١٤– ديوان حسان ابن ثابت :٢٩٨
١٥– ينظر في التصحيح اللغوي :٥٠
١٦– غريب الحديث : ١٣/١
١٧– مسند ابن حنبل :٤٥٤/٦
١٨– الصاحبي :٤٤٦
١٩– المحيط في اللغة : مادة (مغل).
٢٠– الصحاح : مادة (نعا)
٢١– العباب : مادة (رضف)
٢٢– لسان العرب :مادة (تبع)
٢٣– تاج العروس : مادة (تبع)
٢٤– ينظر المحكم : مادة (فره).
٢٥–ينظر علم الدلالة دراسة وتطبيق /لوشن :٥٥ .
٢٦– ديوانه:١٣ .
٢٧– ينظر شرح دُرّة الغواص :١٥ .
٢٨–ينظر التكملة :٩ .
٢٩– شرح دُرّة الغواص :١٥–١٦ , وكشف الطرة : ١٥٩.
٣٠– نفسه .
٣١– ينظر شرح درة الغواص :١٦

٣٢– ينظر في التصحيح اللغوي والكلام المباح : ٣١ –٣٢ .
٣٣– شعر الراعي النميري : ١٤٢ .
٣٤– ديوان حميد بن ثور : ٥٣ . ١–ديوان حسان بن ثابت :٣٩ .
٣٥–ينظر في التصحيح اللغوي :٣٣.
٣٦– العين مادة (تبع).
٣٧– المحيط في اللغة : مادة (عند).
٣٨–لسان العرب : ١ / ٥٨٠ , مادة (تبع) .
٣٩ – المصباح المنير : ١ / ٧٩ .
٤٠–تاج العروس : ١٤ / ٣٣٨ , مادة (وتر).
٤١–لسان العرب : ٩ / ٢٠٨ , مادة (وتر).
٤٢–تاج العروس : ١٤ / ٣٣٨ .(وتر).
٤٣–التطور اللغوي مظاهره وعلله : ١١٤ .
٤٤– درة الغواص : ١٩٣ .
٤٥– ينظر شرح درة الغواص : ١٨٧ , وكشف الطّرة : ٧٢.
٤٦– شرح درة الغواص : ١٨٧ .
٤٧– ينظر : نفسه.
٤٨–ينظر في التصحيح اللغوي والكلام المباح : ٥٧ .
٤٩–الموطأ:١٥٥/٢ .
٥٠–الموطأ:١٧٦/٢.
٥١–مسند ابن حنبل : ١٦٥/٣ .
٥٢–ينظر في التصحيح اللغوي والكلام المباح : ٥٨
٥٣– العين مادة (قعد).
٥٤ –المحيط في اللغة مادة (قعد).
٥٥–الصحاح :مادة (قعد).
٥٦–اللسان :٤٣١/٩ :مادة (قعد).
٥٧–تاج العروس:١٣ /٤٥٣ ,مادة (قعد).
٥٨– مصنفات اللحن والتثقيف اللغوي من القرن العاشر الهجري /احمد محمد قدور :١٤٠ .
٥٩–ينظر دلالة الألفاظ : ١٥٥.
٦٠–ينظر كشف الطرة :٧١.
٦١– ينظر التفسير الكبير : ٨٠/٢٩
٦٢–دُرّة الغواص :٢٦٦.
٦٣–ينظر شرح درة الغواص : ٢٤٨–٢٤٩ .
٦٤–ينظر في التصحيح اللغوي والكلام المباح :٧١.
٦٥–صحيح مسلم :١٧٤/٨ .
٦٦– سنن النسائي :٣ / ١٧٤ .
٦٧– تاج العروس : ٥ / ٢٠١ – ٢٠٣ .
٦٨–نفسه.
٦٩– التهذيب (مادة حض).
٧٠–المحكم : (مادة حض).
٧١–القاموس المحيط: (مادة حض).
٧٢–جمهرة اللغة : (مادة حثث).
٧٣– التهذيب : (مادة حثث).
٧٤– لسان العرب: (مادة حثث).